ماذا قدم مهرجان المربد الشعري الثالث

لمراسل « الآداب » في بغداد :
ماجد السامرائي

تحت شعار : « الاديب والانتصارات الثورية » عقد في مدينة البصرة « مهرجان المربد الشعري الثالث » في الفترة من ١ ـ ٦ نيسان (ابريل) .. وحضره ما يزيد على مئتي شاعر واديب . من داخل القطر وخارجه ..

وكما اعتبرنا هذا المهرجان ، في السابق ، تجربة رائدة على صعيد المهرجانات الثقافية العربية . فاننا نعتبر دورته الحالية امتدادا لتلك التجربة ، وتاكيدا لها . وتأتي اهمية هذا المهرجان من كونه يعقد ضمن اطار تنظيمي جديد مستقل في طبيعته عن المهرجانات العربية الاخرى التي اعتدناها من قبل .. فيضم نخبة من الشعراء والنقاد والادباء العرب الذين يحضرونه لا عن طريق التمثيل الرسمي لاقطارهم (كما هي العادة في مؤتمرات الادباء العرب ومهرجانات الشعر التي تعقبها) ، وانما يتم في اطار الدعوات الشخصية المباشرة .. الامر الذي يتيح للمشتركين فيه التعبير عن انفسهم . ومن خلال « المسؤولية الشخصية » ، من ناحية .. ومن ناحية اخرى اتخاذ المهرجان صيغة بعيدة عن « الاطار الرسمي » الذي كثيرا ما يحدد الاعضاء المشاركين بما يكفل التعبير عن وجهة النظر الرسمية لاقطارهم . هذه الناحية جعلت المهرجان يعيش حرية في التمثيل ، وحرية في المسار . فالشاعر فيه يقول ما يشاء ، دون رقابة مسبقة .. والناقد ، هو الآخر ، يقول ما يشاء .. منطلقين في ذلك من قناعاتهما الفكرية والفنية ، اي ان المهرجان يعيش في جو من الحرية كبير .

هذا من حيث « التركيب العام » للمهرجان ..

غير انه ، وعلى الرغم من مثل هذه الخصائص التي يتميز بها عن سواه من المهرجانات الشعرية العربية ، لم يستطع ، حتى في تجربته الثالثة هذه ، ان يبلغ ما هو مرسوم له ـ في الاذهان المخططة ، على الاقل ـ .. فما قرأناه في الصحافة العراقية من تصريحات للقائمين عليه ، سبقت انعقاده بزمن ، كان قد رسم امامنا « صورة بانورامية » للمهرجان ، كما هو في اذهان المشرفين عليه .. وهي الصورة المرجوة ، والتي حسبناها كفيلة بانجاح ودفع مثل هذه التجربة .

لكن التصور شيء .. والتنفيذ كان شيئا اخر مختلفا عنه كل الاختلاف . فقد تعثر هذا المهرجان في سيره بما يكفي لاحباطه تماما .. ومضى في مسار شبه مشلول لم يكفل له اي قسط من النجاح .

ولكي لا نتهم بأي نوع من انواع التعميم ، لا بد لنا من الخوض في التفاصيل ، والتي نعتبرها تفاصيل ضرورية ومهمة ... فالملاحظات على هذا المهرجان كثيرة .. كثرة النواقص والاخطاء التي داخلته او رافقته :

اولا : انه كان مهرجان بلا هوية . الشعر الذي القي عبر جميع امسياته لم يكن شعرا محدد المعالم ، او واضحا في توجهه . فأية قضية طرح شعر هذا المهرجان مجتمعا ؟ اجدني لا استطيع تحديدها .. ولا احسب سواي قادرا على تحديدها ايضا . فقد اعتمد نوعا من « التجميع الكمي » لشعراء لا يشدهم محور ، ولا يلتقون حتى على « قضية الشعر » ذاتها . فهو مهرجان بلا سمات ، الشعر الكلاسيكي فيه الى جانب الحديث .. و « الحديث المعتدل » الى جانب « الحديث المتطرف » . الجيد القليل الى جانب الوسط ، الى جانب الرديء الكثير .

ثانيا : الى جانب الشعر اعتمد المهرجان هذه المرة البحوث المتعلقة بالشعر (وان كان قد فعل مثل هذا في دورته السابقة ، ولكن ليس بهذه السعة) .. وعمد الى طبع هذه البحوث . وتم توزيع معظمها على المشاركين فيه قبل انعقاده بأيام .. وقد استعمنا في جلسات النقد الى بعض هذه البحوث ملخصة . ولست ادري ما الذي دفع المشرفين على تنظيم المهرجان الى تقديم اردأ هذه البحوث دون الجيد القليل منها . فيظني ان بحوثا كالتي قدمها الدكتور عبد الواحد لؤلؤة (العراق) ، او الشاعر احمد المجاطي (المغرب) ، او الناقد انعام الجندي (سوريا) او الفنان شاكر حسن آل سعيد ، والدكتور جلال الخياط (العراق) هي من افضل ما قدم الى هذا المهرجان من بحوث . لكن احدا منا لم يسمع شيئا منها في الجلسات التي كان جزء من وقتها محسوبا لذلك .. على الرغم من اهميتها ، ومما كانت ستثيره من افكار ومناقشات ذات مساس مباشر بجوهر الحركة الشعرية العربية المعاصرة .

ولعل الفكرة التي خطرت لكثيرين منا ونحن نتسلم هذه البحوث قبل انعقاد المهرجان ، هي انها حين قدمت الينا بمثل هذا الموعد المبكر . نسبيا ، فانما ليتاح لنا امر الاطلاع عليها ، وتسجيل ما يخطر لنا من ملاحظات وافكار واستعدادا للمناقشات التي ستتم عقب تقديم صاحب البحث تلخيصا لبحثه . غير ان هذا لم يتم الا على نطاق ضيق ومحدود .. ذلك ان ما قدم من هذه البحوث كان دون المستوى .. ولا يمكن ان يثير قضية اساسية في كثير من القضايا

المتعلقة بشعرنا الجديد . ولعل الاسماء التي ذكرت قبل اسطر كانت بحوثها هي الاساسية والمهمة ، وسواها كان ثانويا .

ثالثا : كان ما قدم من نقد لقصائد الامسيات ـ باستثناء قلة من النقاد ! ـ هامشيا ، وسطحيا ،ظل يحوم حول القصائد دون ان يمس جوهرها ، ودون ان يتعرض الى الكثير من القضايا التي طرحتها ، ان سلبا او ايجابا ، وكانت حجة النقاد التي تذرعوا بها ملتمسين العذر من جمهورهم هي ان الوقت الفاصل بين تسلمهم القصائد والقائهم النقد كان قصيرا جدا .. وبالتحديد كان « ساعات الليل » وحدها . فالناقد لا يتسلم القصائد المطلوب منه نقدها الا بعد انتهاء الامسية .. وعليه ان يقدم نقده في صباح اليوم التالي . وهي عملية مرهقة لهم ، وعلى الرغم من الاقرار بما تسببته من عناء وتسرع في الاحكام ، في المهرجانين السابقين ، فان اللجنة المشرفة على المهرجان سارت عليها ، وبنوع من الاصرار غير العابيء بشكوى النقاد وتذمرهم .

ثم .. ان تحديد الناقد بمدى زمني قصير حال بين جميع النقاد وبين الحديث عن هذه القصائد حديثا متكاملا (خصوصا وان اغلب نقادنا بلاغيون يجتذبهم سحر العبارة ، فيسيرون وراء الكلام الطويل الذي يمكن اختصاره بأسطر لو اجادوا « الكتابة المكثفة » !)

ورغم ان هذه الملاحظات هي ذات الملاحظات التي ثبتت على المهرجانين السابقين ، فان شيئا منها لم يداخل تفكير اللجنة المشرفة، لتتفاداه .. الامر الذي يجعلنا نذهب الى ان كل ما كتب ، من آراء وملاحظات ، عن تجربة المهرجانين السابقين لم يدرس من قبل اللجنة المشرفة على تنظيم المهرجان ، ولم يؤخذ بشيء ذي بال من ذلك الذي كتب . ان الهيئة العليا للمهرجان لم تستفد كثيرا من تجربة المهرجانين السابقين ..

زيادة على ذلك فان المهرجان ، في دورته الثالثة هذه ، قد مر ، وبشكل عابر ، سواء في وجوده كمهرجان او في وجود المشاركين به . فهو لم يحقق تلك الفاعلية المتوخاة منه ، والتي كان مخططا لها ، على الاقل . فقد اقتصر على امسيات للشعر كان اكثر ما قدم فيها ، لا يمثل المستوى المطلوب لشعر مهرجان كهذا .. وجلسات نقد تراوح ما قدم فيها بين الوسط ، والهامشية ، والسطحية .. تضاف اليهما مناقشات قليلة شبه ميتة .

وكما طرح هذا المهرجان « ازمته الخاصة » ، كتركيب وتنظيم واخراج ، فانه طرح « الازمة الحاضرة » للشعر العربي ، على اوضح نحو .. وهي المسألة التي لم تلتفت اليها الجهة التنظيمية للمهرجان ، في حين كان بالامكان الانطلاق منها لعقد حوار مفتوح بين الشعراء والنقاد والادباء الحاضرين ضمن جلسة (ولتكن على هامش المهرجان) لاثارة مثل هذه القضية الخطيرة ، والكبيرة الاهمية .. والتي لو نظمت ، واعد لها بشكل جيد لكانت من اهم ما حدث في هذا المهرجان.

كنتيجة لهذا الفشل الواضح الذي عاشه المهرجان ، وعلى كل الاصعدة ، دار « همس مسموع » باقتراح الغائه نهائيا ... وهي فكرة خطيرة .. تمثل حكما بالاعدام على مشروع كبير وخطير في حياتنا الثقافية ، اجد ان من مهمتنا ، كمثقفين ، شجبها والوقوف ضدها بأصوات معلنة . ففشل المهرجان ، على نطاق التنظيم ، لا يعني فشل الفكرة من الاساس ، بقدر ما يشير الى فشل الجانب التنظيمي منه . والاولى بالمنادين بمثل هذه الفكرة ان يقدموا ، كبديل لها ، صيغة جديدة للمهرجان في دوراته القادمة ، يتولى تنفيذها اناس اكفاء ، لهم خبرتهم في هذا الميدان ، ولهم آفاقهم الرحبة في مجال تنظيمها ... ذلك ان فكرة هذا المهرجان ، في الاساس ، فكرة كبيرة .. واستمرارها يمثل ظاهرة صحة في حياتنا الثقافية . واعادة النظر بتركيب المهرجان ، وبالهيكل التنظيمي له هي المهمة الكبيرة والملحة ، لا التفكير بالغائه ، او الاستعاضة عنه بأفكار اخرى .

واذا كان لا بد من صيغة ثانية له .. فاننا نقترح لذلك ان يعقد المهرجان مرة كل سنتين .. يتخللهما ملتقى ادبي ، او فكري لفن آخر من الفنون الادبية .. فهو المقترح الذي نراه اكثر عملية ، وجدية .. ما دام الهدف هو تنشيط الحياة الثقافية في القطر .. ونقترح لهذه الملتقيات ان تتناول موضوعات مختلفة .. فمرة للقصة ، وثانية للرواية (وهو ما اقترحه الدكتور سهيل ادريس) وثالثة للمسرح ، ورابعة للنقد ، وخامسة للثقافة العربية في وضعها الراهن . حينذاك ستساهم مثل هذه الملتقيات ، اذا ما توفر لها الاعداد الجيد الكفيل بانجاحها ، مساهمة كبيرة في دفع الحركة الثقافية ، وفي تأكيد الكثير من المعالم الواضحة لها في مرحلة كهذه ، تحتاج الى مثل هذا الدفع .

* * *

بعد هذا ، لنا ان نتساءل :

ـ هل حقق المهرجان ، في دورته الثالثة هذه ، محتواه ؟

ان مجمل الملاحظات السابقة تؤكد ، وبشكل واضح ، انه ظل يحوم حول الشعار الذي عقد تحته ، وهو : « الاديب والانتصارات الثورية » .

لقد كان هناك شعر جيد ، ولكنه قليل .. ضاع في زحمة هذا الركام : الموزون المقفى مرة .. والموزون غير المقفى ، اخرى . فهو لم يمثل ذلك « العرض النوعي » لواقع حركتنا الشعرية العربية ، بقدر ما مثل ، وفي الكثير من جوانبه ، ضعف الحركة الشعرية العربية في واقعها الراهن .. وما زاد الامر سوءا ان تظل هذه المسألة ـ رغم اهميتها ـ بعيدة عن اهتمام المهرجان ، وعن عناية المشاركين به .. وان كان بعض النقاد قد اشار اليها ، بهذا الشكل او ذاك .. ولكنها ظلت مجرد اشارات عابرة ..

بغداد

مكتبة النوري

دمشق ـ تجاه البريد العام

وكيلة منشورات دار الآداب وكبرى

دور النشر اللبنانية والعربية في

القطر السوري .